

نفج الطيب من غصن الأندلس الرطيب

وقال الفتح في ترجمته ما نصه ملك قمع العدا وجمع البأس والندى وطلع على الدنيا بدر
هدى لم يتعطل يوما كفه ولا بنانه آونة يراعه وآونة سنانه وكانت أيامه مواسم وثورته
بواسم ولياليه كلها دررا وللزمان حولا وغررا لم يغفلها من سمات عوارف ولم يضحها من ظل
إيناس وارف ولا عطلها من مآثرة بقي أثرها باديا ولقي معتفيه منها إلى الفضل هاديا وكانت
حضرتة مطمحا للهمم ومسرحا لآمال الأمم ومقذفا لكل كمي وموقفا لكل ذي انف حمي لم تخل من
وفد ولم يصح جوها من انسجام رقد فاجتمع تحت لوائه من جماهير الكماة ومشاهير الحماة
أعداد يغص بهم الفضاء وأنجاد يزهى بهم النفوذ والمضاء وطلع في سمائه كل نجم متقد وكل
ذي فهم منتقد فأصبحت حضرتة ميدانا لرهان الأذهان ومضمارا لأحراز الخصل في كل معنى وفصل
فلم يلتحق بزمامه إلا كل بطل نجد ولم يتسق في نظامه إلا ذكاء ومجد فأصبح عصره اجمل عصر
وغدا مصره أكمل مصر تسفح فيه ديم الكرم ويفصح فيه لسانا سيف وقلم ويفضح الرضى في وصفه
أيام ذي سلم وكان قومه وبنوه لتلك الحلبة زينا ولتلك الجملة عينا إن ركبوا خلت الأرض
فلكا يحمل نجوما وإن وهبوا رأيت الغمام سجوما وإن أقدموا احجم عنترة العبسي وإن فخروا
أفحم عرابة الأوسي ثم انحرفت الأيام فألوت بإشراقه وأذوت يانع إيراقه فلم يدفع الرمح ولا
الحسام ولم تنفع تلك المنن الجسم فتملك بعد الملك وخط من فلكه إلى الفلك فأصبح خائضا
تحدوه الرياح وناهضا يزجيه البكاء والصياح قد ضجت عليه أياديه وارتجت جوانب ناديه
وأضحت منازلها قد بان عنها الأنس والحبور وألوت ببهجتها الصبا والدبور فبكت العيون عليه
دما وعاد